# مدرسة القراءات المصرية النشأة والتطور

د/ محمد بن عبد العزيز بن علي القبيسي

**مقدمة**

الحمد لله حمداً ملؤه الثناء كما يليق برب الأرض والسماء، حمداً مدخراً إلى يوم اللقاء، والصلاة والسلام على قدوة الرسل والأنبياء –نبينا محمد– وعلى آله وصحابته النجباء، ومن سار على طريقهم، وسلك سبيلهم، إلى يوم اللقاء، وسلم تسليماً كثيراً؛

**وبعد:**

فإن شرف الإنسان يكون بشرف ما تعلمه، وسموه بقدر ما أخلصه، وإنَّ حملة القرآن، قد خصهم الله بشرف، تتشوف إليه النفوس، وتشرئب إليه الأعناق، وذلك أن جعلهم أهله وخاصته، وأعظم بذلك فخراً وتقديراً، فيالها من نعمة طهروا بها تطهيراً، وحازوا بها مراتب العز مهابة وتحبيراً، وهم في أعلى درجات الجنان يرقون إليها بقدر ما رتلوا ترتيلاً، فاللهم وفقنا لمرضاتك، وإخلاص العمل لك، وأتم علينا نعمك، إنك جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على البشير النذير، خير الأنبياء مقالاً، وأرفع المرسلين مقاماً، من بعثه الله بأعظم برهان، المعجزة الباقية ما بقيت الأزمان، الذي تحدى الله تعالى به الإنس والجان، فما كان منهم إلا أن قالوا: لا يعلوا عليه بيان، ثم جعله ربيعاً لقلوب أولى الإيمان، فهو جديد بتجدد الأزمان، ويسره للذكر حتى استظهره صغار الولدان، وتولى حفظه تعالى بنفسه فهو بفضله محفوظ على طول الزمان، وإن من نعم الله عليَّ أن وفقني لأن أشارك في خدمة كتابه الكريم، وذلك من خلال التعريف بمدرسة من أهم المدارس التي خدمت القرآن الكريم وقراءاته وعلومها، وهي مدرسة القراءات في مصر، والله ولي التوفيق.

**أهمية الموضوع:**

لهذا الموضوع أهمية كبيرة ألخصها فيما يلي:

1- الكشف عن حقائق مهمة غائبة، كبيان عراقة مدرسة القراءات المصرية، وأنَّ نشأتها كانت في عهد الخلفاء الراشدين، وأنها بدأت بداية قوية جداً، وأنَّ فترات الضعف فيها قليلة، وبسبب عوامل خارجية، وسرعان ما تمحى آثارها، ولم تتأثر بذلك أسانيدها.

2- الاطلاع على ما كان عليه سلفنا الصالح من الحرص على القرآن تعلماً وتعليماً، والعمل على نشره وتعليمه للناس ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، منفقين في سبيل ذلك الغالي والنفيس، فقد كانوا رحمهم الله تعالى يقطعون المسافات الطويلة لأجل قراءة ختمة على شيخ، أو تعليم أهل قطر من الأقطار القرآن راجين المثوبة من الله تعالى.

3- معرفة مقومات الاستمرار لهذه الفترة الطويلة من الزمن، فالمدرسة المصرية قائمة بتبليغ ما حملت من أمانة عظيمة منذ ما يزيد على ألف وأربع مائة سنة، مع اندثار مدارس أخرى أقدم وأضخم منها كان لها قصب السبق فتقهقرت.

**أسباب اختيار هذا الموضوع:**

1- الكشف عن غموض مرحلة تأسيس هذه المدرسة واستقلالية نشأتها.

2- أنَّ هذا الموضوع لم يسبق وأن أفرده أحد بالتأليف أو البحث.

3- إبراز أهمية ومكانة مدرسة القراءات المصرية وما قدمته من خدمة للقرآن الكريم.

4- ما تفردت وتميزت به مدرسة القراءات المصرية.

5- مواكبة هذه المدرسة للتطور العلمي والفكري والتكنولوجي والمعلوماتي.

**مشكلة البحث:**

ضبابية صورة المرحلة الأولى للمدرسة المصرية، وانعدام المراجع المتخصصة الواصفة لواقع النشاط القرآني في هذه المرحلة، وتفرق المعلومات الخاصة بها في مراجع متفرقة، منها كتب الحديث، والتراجم والطبقات، والتاريخ، والخطط والآثار، والعقائد والملل، وغيرها، وجمع هذه المادة مع ما فيه من مشقة يحتاج إلى دقة نظر، وفهم جيد للنصوص، ومناهج المؤلفين، ليخرج الباحث بمعلومات متكاملة، تصور بجلاء تاريخ هذه المدرسة العظيمة، وتحِقق الفائدة المرجوة للقراء والباحثين إن شاء الله تعالى.

**خطة البحث:**

برزت مكونات العملُ العلميُّ في هذا البحث في مقدِّمة وفصلين، وقائمة مصادر، على النحو التالي:

- **المقدمة:** وتضمَّنت النقاط التالية:
  - أهمية الموضوع.
  - أسباب الاختيار.
  - مشكلة البحث.
  - خطة البحث.

**القصل الأول: تعريف المدرسة ونبذة عن أشهر مدارس القراءات وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: تعريف المدرسة لغة، واصطلاحاً.

المبحث الثاني: نبذة عن أشهر مدارس القراءات.

**الفصل الثاني: نشأة مدرسة القراءات المصرية وتطورها ومصادر تلقيها وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: نشأة مدرسة القراءات المصرية ومصادر تلقيها.

المبحث الثاني: تطور مدرسة القراءات المصرية.

**قائمة المصادر**

## القصل الأول: تعريف المدرسة ونبذة عن أشهر مدارس القراءات

### المبحث الأول: تعريف المدرسة لغة واصطلاحاً

**تعريف المدرسة لغة:**

المدرسة لغة: أصل هذه المادة الدال والراء والسين (دَرَسَ)، قال في القاموس: "دَرَسَ الكتابَ يَدْرُسُهُ ويَدْرِسُهُ دَرْساً ودِرَاسَةً: قَرَأَهُ كأدْرَسَهُ ودَرَّسَهُ"[1]، وفي المعجم الوسيط، "دَرَسَ الكتاب ونحوه مُدارسة ودِراساً دَرَّسه، وفلانا قارأه وذاكره"[2]، وهذه المادة قد استعملت كثيراً في كلام العرب وأشعارهم بمعنى ذهب وامَّحى أثره، ونستطيع أن ننزِّل هذا المعنى أيضاً على الدارس المتعلم فهو بدراسته الكتاب يزيل عن نفسه أثر الجهل ويمحوه، وفي تاج العروس: ومِن المَجَازِ: "دَرَسَ الكِتَاب، وَدَرَّسهُ تَدْرِيساً، قال الصاغانِيُّ: شُدِّد للمُبَالَغة، ومنه مُدَرِّسُ المَدْرَسَة"[3]، ومن الباب دَرَسْتُ القُرآنَ وغيرَه، وذلك أنّ الدّارِسَ يتتبَّع ما كان قرأ، كالسَّالك للطريق يَتَتَبَّعُه[4]، وتَرَكْتُ به دُرُوْساً: أي آثاراً، وقد استُعملت هذه اللفظة بعينها لغير معنى الدراسة فقالوا: مَدْرَسَةُ النعَمِ: طَرِيْقُه[5]، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ((دارَسْت)) أي: دارَسْت

(**1**) ينظر: فصل الدال ص544.

( 2 ) ينظر: باب الدال ص279.

( 3 ) ينظر: ج16، ص64و65.

( 4 ) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج2، ص268.

( 5 ) ينظر: المحيط في اللغة، ج2، ص 251.

غيرك، وعن ابن عباس: قارأت وتعلمت[1] وقرأ القراء كلهم غير ابن عامر ويعقوب ومن سبق: ((درَسْت)) بمعنى حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الأولين[2]، قال ابن منظور: "وفي الحديث ((تَدارَسُوا القرآن))[3] أَي اقرؤوه وتعهدوه لئلا تَنْسَوْهُ وأَصل الدِّراسَةِ الرياضة والتَّعَهُّدُ للشيء"[4]، علمنا بذلك أنَّ أصل هذه المادة عربي أصيل فصيح، وإن لم تستعمل بالمعنى المتعارف عليه اليوم.

**تعريف المدرسة اصطلاحاً:**

إننا إن ذهبنا لاستخلاص تعريف اصطلاحي لهذه المادة مستخلص من كلام العرب منطبق انطباقاً تاماً على المعنى المتعارف عليه اليوم فإنَّ ذلك يعسر جداً، لأنَّ المعنى المتعارف عليه اليوم مرتبط بالتعليم والدراسة، وقد كان العرب في عصور الجاهلية لا يرفعون لهذا الأمر رأساً، فإن من تعلم منهم الكتابة كانوا قِلَّة، فلما جاء الإسلام وهو دين العلم والحضارة حث أتباعه على العلم والتعلم، وبذل المسلمون في هذا السبيل الغالي والنفيس، وسعوا في تطوير سبله وأساليبه، وكان من ذلك بناء المدارس ودور التعليم فأحيوا بذلك هذا المسمى وأذاعوه ونشروه، ومنذ هذا العهد وما بعده نستطيع أن نضع تعريفاً اصطلاحياً لِما تعارف عليه الناس بعد ذلك.

( 6 ) ينظر: الحجة لابن زنجلة، ص264.

( 7 ) ينظر: قلائد الفكر، ص46.

( 8 ) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما رواه البخاري في بدء الوحي بلفظ: ((تعاهدوا...)) من حديث أبي موسى رضي الله عنه، وهو مروي في كثير من كتب السنة من حديث أبي موسى وابن مسعود رضي الله عنهما، ينظر: صحيح البخاري ح5033.

( 1 ) ينظر: لسان العرب، ج6، ص66و79.

**التعريف الاصطلاحي للمدرسة:** المدرسة هي: "مكان الدرس والتعليم"[1]، "والمِدْراسُ البيت الذي يُدْرَسُ فيه"[2]، "وجماعة من الباحثين أو المفكرين أو الفلاسفة تعتنق مذهباً معيناً أو تقول برأيٍ مشترك، ويقال هو من مدرسة فلان على رأيه ومذهبه"[3].

وأول من حُفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور[4].

وبالنظر لهذا التعريف نجده ذو شقين، الأول: تعريف المدرسة بالجوهر المحسوس المشاهد بالعين، وهو بناء ذو هيئة خاصة، وهذا البناء يختلف باختلاف ما أُعد من أجله، وهذا التعريف من هذا الشق محدد المكان، والزمان، والهدف.

الثاني: الشيء الملاحظ في الذهن، وهو عبارة عن اعتناق فكرة معينة ارتضاها جماعة من الناس لأنفسهم فصاروا يُنسبون إليها ويعرفون بها، وهذا القسم من التعريف غير محدد الزمان والمكان، وإنَّما حدد الفكر، ونوعية الثقافة، ومنهج التفكير.

## المبحث الثاني: نبذة عن أشهر مدارس القراءات

عُرفت المدارس القرآنية منذ فجر الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يتلقى الوحي عن الله تبارك وتعالى بواسطة جبريل عليه السلام، ويلقنه الصحابة رضي الله عنهم، وقد كانوا رضي الله عنهم يُقبلون على تعلم القرآن إقبال الصادي على الماء البارد، وذلك لما استقر في

( 2 ) ينظر: المعجم الوسيط باب الدال.

( 3 ) ينظر: لسان العرب 280/1.

( 4 ) ينظر: المعجم الوسيط باب الدال.

( 5 ) ينظر: إسفار الفصيح للهروي، ص10.

نفوسهم من أنَّ تلاوة القرآن من أجلِّ العبادات، وأنَّ العمل بما فيه هو مقصود الإسلام، ولقد امتاز هذا الكتاب الكريم فيما امتاز به بيسر تعلمه وأدائه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1]، بل جعل الله تبارك وتعالى من ميزاته أن يحفظ في الصدور قال جلَّ ذكره: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾[2]، ومن هذا المنطلق كان بيت رسول الله ﷺ أول مدرسة قرآنية عرفها المسلمون، كما تحولت دور المهاجرين والأنصار إلى مدارس قرآنية قبل الهجرة وبعدها، وقد كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم I بمكة حرسها الله من أعظم المدارس التي عُرفت منذ إشراق ضياء الإسلام، وأمَّا في المدينة النبوية فحدث ولا حرج، فالمسجد النبوي، وبيوت رسول الله ﷺ، وبيوت الصحابة أخُصُّ منهم القراء، كانت مدارس قرآنية وعلمية عظيمة.

ومع انتشار الإسلام وذيوعه انتشرت المدارس القرآنية في البلدان المفتوحة، فترنمت المساجد بحلق القرآن، ثم ألحقوا بالمساجد غرفاً تستقبل الناشئة من أبناء المسلمين، ليكون القرآن الكريم أول ما يقرع أذهانهم ويبعث النور في قلوبهم.

وحيثما وُجد المسلمون وُجدت حلقات القرآن الكريم ولها دوي كدوي النحل، قال ابن حزم رحمه الله تعالى: مات رسول الله ﷺ، والإسلام قد انتشر في جميع جزيرة العرب، وفي هذه الجزيرة من القرى والمدن ما لا يعرف عدده إلا الله، كلهم قد أسلموا وبنَوا المساجد، ليس فيها مدينة أو قرية، ولا محلة

( 1 ) سورة القمر، آية17.

( 2 ) سورة العنكبوت، آية49.

للأعراب إلا قُرئ فيها القرآن في الصلوات، وعُلمه الصبيان والرجال والنساء ...، ثم مات أبوبكر ﷺ وولي عمر ﷺ ففتحت بلاد الفرس، والشام، والجزيرة، ومصر، ولم يبق من هذه البلاد مدينة إلا وقد بنيت فيها المساجد، ونسخت المصاحف، وقرئ القرآن، وتعلمه الصبيان في المكاتب شرقاً وغرباً[1]، إ.هـ.

واستمر الحال على هذا النهج طيلة القرون الأربعة الأولى، ثم أنشئت بعد ذلك المدارس، وأصبحت دور التعليم ما بين المساجد والمدارس المعدة لذلك، وكانت هذه المدارس في الغالب لدراسة الفقه، والحديث، والتفسير، وكان ببعض تلك المدارس قاعات مخصصة للقراء ومعلمي القراءات، وذلك لأنَّ القراء كان مقرهم الرسمي في المساجد، لذا لم تخصص لهم مدارس.

ومنذ العهد الأول–عهد مدارس المساجد– انتشرت مدارس القراءات في جميع الأقطار الإسلامية، وصار التنافس الشريف دافعاً لطلاب تلك المدارس إلى التفوق والإبداع العلمي في علم القراءات وغيره، ولقد تركزت أهم تلك المدارس في ستة أقطار من العالم الإسلامي، هي: مكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، ومصر، والشام، ثم سطعت على الساحة العلمية شمس مدرسة المغرب العربي، متمثلة في المدرسة الأندلسية التي كانت مزيجاً من المدرسة المدنية والمصرية، وبأخرة شعَّ ضياء المدرسة التركية، ووجدت مدراس أخرى في أقطار متفرقة، إلا أنَّها لم تكن بقوة وشهرة المدارس الستة الكبرى، كالمدرسة اليمنية، والنيسابورية، ومدرسة طبرستان وغيرها.

( 1 ) ينظر: الفصل الأول في الملل والأهواء النحل، ص66.

## الفصل الثاني: نشأة مدرسة القراءات المصرية وتطورها ومصادر تلقيها

### المبحث الأول: نشأة مدرسة القراءات المصرية ومصادر تلقيها

رأى أهل مصر النور أول ما رأوا في وقت مبكر من بزوغ فجر الإسلام في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه، في سنة عشرين للهجرة النبوية، على صاحبها أزكى سلام وأجلّ تحية، على يد القائد المظفر عمرو بن العاص[1] ﷺ، وعلى عادة أمراء الفتح ﷺ فأول عمل يقومون به بعد الفتح بناء مسجد، ولا يزال جامع عمرو بن العاص ﷺ حتى اليوم معلماً من معالم القاهرة (الفسطاط)، وشاهداً على ذلك الفتح العظيم، والبدء ببناء المسجد لأجل إقامة أعظم شعائر الدين فيه وهي الصلاة، ثم إنَّ المسجد كان في ذلك العصر بعد كونه محل إقامة الصلاة فهو مدرسة للتربية وتلقي جميع العلوم، ومجلساً للشورى، ومجلساً للقضاء، ووزارة للجهاد، وباختصار كان المسجد كل شيء في حياة الأمة الإسلامية، وبذلك أشرقت شمس الإسلام على أرض الكنانة، فأصبحت أحد أقطار دولة الخلافة الإسلامية الراشدة، ومادام الأمر كذلك فلابد أن تكون مظاهر الدولة الإسلامية منطبقة تمام الانطباق على هذه الولاية الجديدة، قال مكي بن أبي طالب رحمه الله تعالى: ولما مات النبي ﷺ خرج جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى ما افتتح من الأمصار، ليعلموا الناس القرآن والدين، فعلَّم كل واحد منهم أهل مصره على ما كان يقرأ على عهد النبي ﷺ، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم[2]؛اهـ، وعلى هذا كانت أولى مصادر التلقي في المدرسة المصرية الأخذ عن ثلة من كبار الصحابة ﷺ، وسيأتي

( 1 ) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج3، ص54.

( 2 ) الإبانة عن معاني القراءات، ص37.

ذكر بعضهم، وبعد البحث عن مصادر التلقي في مدرسة القراءات المصرية اتضح أنَّها مرت بمرحلتين، لِثانيهما صورتين.

المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس على يد جيل الأمة العظيم صحابة رسول الله ﷺ، ولهذه المرحلة ثلاث طبقات: الصحابة وهم أصحاب الطبقة الأولى، ثم التابعين، ثم تابع التابعين، الذَين مثَّلا الطبقتَين الثانية والثالثة.

المرحلة الثانية: مرحلة الاتصال بالمدارس الأخرى، وبرزت هذه المرحلة في صورتين، وبين هاتين الصورتَين تداخل زمني لا يمكن فصله، وهو ما سيضح من خلال المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

فمع بزوغ الفجر الأول لهذا الفتح المبارك شرع المسلمون في تلقي العلوم من الصحابة الفاتحين ﷺ، وأولها القرآن الكريم، وكان في هؤلاء الصحابة ثلة من القراء أشهرهم:

- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، كان أحد الذين جمع الله لهم القرآن في صدورهم في حياة النبي ﷺ، و"وردت الرواية عنه في حروف القرآن"[1]، وقد استقر بمصر زمناً، والأخبار في هذا كثيرة، توفي بمكة وقيل بمصر، سنة 65هـ، وقيل غير ذلك.
- أبو الدرداء، عويمر يزيد الأنصاري I، وذلك قبل استقراره بالشام، وسيأتي خبر قراءة راشد بن أبي سكنة عليه، توفي سنة 32هـ بالشام[2].
- عقبة بن عامر الجهني I، قال ابن يونس: "كان قارئاً عالماً بالفرائض

( 1 ) ينظر: غاية النهاية 439/1.

( 2 ) ينظر: تاريخ ابن يونس 277/1، وغاية النهاية 606/1، وأسد الغابة 345/3.

والفقه، ورأيت مصحفه بمصر على غير تأليفِ مصحف عثمان، وفي آخره: كتبه عقبة بن عامر بيده، ورأيت له خطاً جيداً، ولم أزل أسمع شيوخنا يقولون: إنَّه مصحف عقبة، لا يشكّون فيه"، توفي بمصر سنة 58هـ، وقبره بالمقطم[1].

- عبيد بن عمر المعافري، وقال ابن الأثير: عبيد بن مخمر I، يُقال أنَّه أول من أقرأ القرآن بمصر[2].

وغيرهم كثير من الصحابة الكرام ﷺ مما لا يتسع المجال لذكرهم، ثم تحمل عن هؤلاء الصحابة وغيرهم تلاميذهم من التابعين، سواء منهم من كان من أهل مصر أو من غيرها ممن سكنها وقرأ وأقرأ بها، وكان من هؤلاء التابعين:

- عبد الله بن مالك، أبو تميم الجيشاني، كان من أئمة التابعين بمصر، وُلد في حياة النبي ﷺ، وقدم المدينة في زمن عمر I، وقرأ القرآن على معاذ بن جبل I، (ت77)[3].
- راشد بن أبى سكنة، قرأ على أبي الدرداء I، قال حرملة بن عمران: سمعت محمد بن راشد يخبر عن أبيه، أنه قال: عرضت القرآن على أبى الدرداء، وواثلة بن الأسقع، فلم يردّ عليّ شيئاً[4].

تلا هذه الطبقة ثلة من تلاميذهم، أذكر منهم على سبيل المثال:

( 1 ) ينظر: تاريخ ابن يونس 345/1 وما بعدها، والإصابة 429/4.
( 2) ينظر: تاريخ ابن يونس 332/1، وأسد الغابة 540/3.
( 3 ) ينظر: تاريخ ابن يونس 283/1.
( 4 ) ينظر: تاريخ بن يونس 167/1 و445.

- جعثل بن هاعان بن عمرو بن البثوث، أبو سعيد، الرعيني القتاني المصري، قاضي إفريقية، وفد على هشام بن عبد الملك، روى عن أبي تميم الجيشاني عن عقبة بن عامر، وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية، فقد أخرجه من مصر إلى المغرب ليقرئهم القرآن، وقد كان أحد القرّاء الفقهاء، توفي في خلافته قريباً من سنة 115هـ[1].
- بُكير بن عبد الله الأشج القرشي، أحد الأعلام، مولى أشجع، من ثقات أهل مصر وقرائهم، كان يقيم بالمدينة مدة وبمصر زماناً، ومات بالمدينة، سنة 122هـ[2].

تلا هذا الفتح المبارك رحيل كثير من القبائل العربية إلى مصر، وكان لاستقرار هذه الجموع الغفيرة من القبائل العربية بمصر أثر عظيم، إذ أصبحوا هم الغالبية العظمى لسكان البلاد، مما ثبَّت أقدام اللغة العربية، فاندثرت إلى الأبد اللغات الأخرى، وقد كان ذلك من أقوى الأسباب التي جعلت القطر المصري بمنأى عن الخلاف الذي دبَّ بين القراء في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، إذْ أصبح من يتكلمون غير العربية قلة لا تذكر، وهم مع ذلك يتكلمون العربية أيضاً، فضاق جداً مجال اللَّحن والعصبية اللغوية، بل لم يكن له أثر، فمصادر التلقي في المدرسة المصرية تحول دون الاختلاف، مما اكسب المدرسة المصرية سمة من سمات القوة العلمية في رواية القرآن الكريم، ومنقبة تميزها عن غيرها من المدارس، ولعل عدم ظهور هذا الاختلاف في مصر كان

( 1 ) ينظر: تاريخ بن يونس 88/1و89، وغاية النهاية 381/1.

( 2 ) ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص299، وسير أعلام النبلاء 6/ 170.

هو سبب عدم إرسال الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ مصحفاً من النسخ التي كُتبت في عهده إلى تلك البلاد، مع حرص الصحابة الفاتحين ﷺ على منع حدوث أو وصول هذا الاختلاف إلى ولاية مصر، يتبين ذلك مما نقله الليث ابن سعد رحمه الله تعالى عن نافع مولى بن عمر أنَّ صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص ﷺ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في المدينة، وحينما عُرض على أمير المؤمنين عاقبه على ذلك وكتب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ –عامله على البصرة– أن لا يجالسه أحد من المسلمين، ثم عفا عنه وحسنت حاله فكتب إليه بأنْ يأذن للناس في مجالسته والأخذ عنه[1]، فبذلك استقرت نشأة المدرسة المصرية وقامت على أساس متين أدى بها بعد فضل الله وتوفيقه أن أصبحت إحدى المدارس المشار إليها بالبنان، فصارت هذه الديار محط رحال العلماء وطلاب العلم من المشرق والمغرب، ولا زالت تؤدي رسالتها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، نسأل الله تبارك وتعالى أن يديم عليها نعمة خدمة كتابه الكريم، وأن يرزق خدام كتابه التوفيق والتسديد والإخلاص، إنَّه جواد كريم.

## المبحث الثاني: تطور مدرسة القراءات المصرية

تبع مرحلة التأسيس مرحلةُ الاتصال بالمدارس الأخرى بصورتَيها، وتمثلت الصورة الأولى في: الرحلةِ في طلب العلم، وهي إحدى صورتَي المرحلة الثانية.

( 1 ) ينظر: فتوح مصر والمغرب، ص226.

ونلاحظ أنَّ هذه الصورة لم تُعرف في طبقات المرحلة الأولى الثلاث، وفي هذا دلالة واضحة على استغناء أهل مصر بمن تلقوا عنهم لكثرتهم، واتقانهم وعُلو منزلتهم، ثم كانت الوجهة إلى المدينة النبوية، فيممت ثلة من أهل مصر شطرها قاصدين نافعاً رحمه الله، منهم ورش عثمان بن سعيد[1]، والليث بن سعد[2]، ومعلى بن دحية[3]، وسقلاب بن شيبة[4]، وأشهب بن عبد العزيز[5]، وغيرهم، فتعددت بذلك مصادر التلقي في المدرسة المصرية، وكان لهذه المرحلة أثر كبير في هذه المدرسة، مع ما لها من الخصوصية المستمدة من الصحابة الذين اختطوا بمصر من الفاتحين ومن أتى بعد ذلك ﷺ لأجل التعليم وحماية الثغور.

وفي هذه المرحلة كثر بمصر القراء والمقرئون، وكان أول من أقرأ حرف نافع بمصر عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي ت 188هـ[6]، ثم الليث بن سعد الفقيه المصري الإمام الشهير ت175هـ[7]، وسقلاب بن شنينة أبو سعيد المصري ت191هـ[8].

( 2 ) ينظر: غاية النهاية 1/ 503.
( 3 ) ينظر: غاية النهاية 34/2.
( 4 ) ينظر: غاية النهاية 304/2.
( 1 ) ينظر: غاية النهاية 308/1.
( 2 ) ينظر: تاريخ بن يونس 46/1.
( 3 ) تاريخ الإسلام 908/4، والخطط والآثار 148/4.
( 4 )غاية النهاية 34/2.
( 5 ) غاية النهاية 308/1 و309.

ثم برز شيخ مصر في زمانه عثمان بن سعيد الملقب بورش الذي كان من أبرز الراحلين للقراءة على نافع رحمهم الله جميعاً، فقرأ عليه عدة ختمات، ثم اختار لنفسه مقرأً يسمى مقرأ ورش، ثم إنَّه اشتغل بتعليم وإقراء القرآن، فذاعت في البلاد قراءته وانتشرت في الآفاق روايته، ومن هنا اشتهر عن المدرسة المصرية في القراءات مذهبها الخاص، وكانت قراءة عامة المصريين إلى أواخر القرن الخامس الهجري على طريقة أهل المدينة سيما التي رواها ورش[1].

ومما تقدم يتبين لنا أنَّ ورشاً رحمه الله ليس هو مؤسس المدرسة المصرية، وإنَّما كان من أبرز رجالاتها القراء الذين نشروا حرف نافع رحمه الله تعالى، وكان من أبرز قراء المرحلة الثانية.

وتمثلت الصورة الثانية من المرحلة الثانية في: قدوم عدد من قراء المدارس الأخرى إلى مصر.

وكان على رأس هؤلاء عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني ثم المصري، أبو داود، تابعي جليل، شيخ الإمام نافع وناهيك به، مات بالإسكندرية سنة 117هـ[2].

فتحصَّل من ذلك اتصال المدرسة المصرية بالمدنية من وجهين: الأخذ عن القادمين منها لمصر، والرحلة إلى شيخ قرائها نافع رحمه الله تعالى.

( 6 ) ينظر: الإضاءة في أصول القراءة، ص61.
( 1 ) غاية النهاية 1/ 381.

ثم اتصلت المدرسة المصرية بالكوفية من خلال أبي الحسن علي بن يزيد بن كيسة، الكوفي، نزيل مصر، وكان قد عرض على سليم بن عيسى، وهو أضبط أصحابه، عن حمزة، وقرأ عليه بمصر يونس بن عبد الأعلى، وداود بن أبى طيبة، وعبد الصمد بن عبد الرحمن، وتوفي بمصر سنة 202هـ[1].

وأما المدرسة الشامية فإنَّ إمامها أبو الدرداء ﷺ كان سكن مصر مدة هو وزوجته المقرئة أم الدرداء رضي الله عنها قبل سكناهم الشام كما تقدم، وعليه فاتصال المدرسة المصرية بالشامية قديم من الطبقة الأولى.

نلاحظ مما سبق أنَّ المدرسة المصرية كانت مستقلة التلقي كغيرها من المدارس وذلك حتى عصر أتباع التابعين، ثم تعددت مصادرها بعد التواصل مع المدارس الأخرى، يدل على ذلك تعدد الصحابة القراء الذين سكنوا مصر ﷺ، وكذلك تأخر رحلات أهل مصر إلى قراء المدارس الأخرى إلى القرن الثاني الهجري، قال المقريزي عن عبد الرحمن بن ميسرة المتقدم ذكره: وكان أول من قرأ حرف نافع بمصر قبل الخمسين ومائة[2]، ومن الأدلة على ذلك أيضاً أنَّ الذين عرضوا على نافع لم يحفظوا القرآن بين يديه وإنَّما عرضوا عليه مباشرة ما تلقوه في ديارهم وأخذوه عن شيوخ بلدهم.

وبهذا الاتصال بكبريات مدارس القراءات في العالم الإسلامي أخذت المدرسة المصرية طوراً آخر من أطوار الازدهار العلمي في علم القراءات، فكثر القراء وتعددت الروايات وكثرت تبعاً لذلك المقارئ.

( 2 ) غاية النهاية 1/ 584.

( 1 ) الخطط والآثار 148/4.

وفي القرنين الثالث والرابع الهجريين نشطت الرحلة إلى مصر فوفد إليها ثلة من أهل الأندلس وغيرها لتلقي القراءات، منهم الإمام أبو عمرو الداني ت444هـ، ومكي بن أبي طالب القيسي ت437هـ، وعبد المنعم بن غلبون ت389هـ، وغيرهم كثير، وعن طريق هؤلاء وغيرهم انتقلت القراءات عن طريق مصر إلى الأندلس، ثم ألَّف هؤلاء العلماء كتباً تضمنت ما تلقوه من قراءات، الكثيرُ منها عن أهل مصر[1]، فظهرت تلك الكثرة من الروايات والقراءات في مصر على شكل مؤلفات في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، وكان سبب قلة المؤلفات عند قراء مصر وظهروها في غيرها من الأقطار بأيدي تلاميذهم هو تسلط الروافض على مصر وأهلها وتضيقهم على العلماء بل وقتل الكثير منهم.

ثم كشف الله تعالى الغمة وأخزى تلك الشرذمة(الرافضة)، فعادت الحياة العلمية إلى سالف مجدها وعزها، وقام العلماء بأداء رسالتهم في أمن وأمان ونشطوا لذلك نشاطاً كبيراً، فكرث المقارئ وأُلفت الكتب التي صارت فيما بعد من أمَّات كتب هذا الفن العظيم، ومنها إكمال الإمام الشاطبي منظومته الشهيرة حرز الأماني، ومؤلفات تلميذه السخاوي ت643هـ، والتجريد لأبي القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر الشهير بابن الفحام شيخ الإسكندرية، ت516هـ، والبستان لابن الجندي ت769هـ، شيخ ابن الجزري، ومن دلائل هذا النشاط العلمي ظهور أكبر موسوعة في علم القراءات ألا وهو كتاب (الجامع الأكبر والبحر الأزخر) لأبي القاسم عيسى بن عبد العزيز الإسكندري

( 2 ) كالتيسير والجامع للداني، والتذكرة والإرشاد لابنَي غلبون، والروضة للطلمنكي، والتبصرة والكشف لمكي بن أبي طالب القيسي، وغيرها.

ت629هـ، فقد جمع فيه سبعة آلاف رواية وطريقاً، وأخبر ابن الجزري بامتلاكه قطعة من هذا الكتاب[1].

ثم انتقلت المدرسة المصرية إلى مظهر آخر من مظاهر التطور العلمي، إذْ كثرت المدارس العلمية، وقد ذكر عدداً منها المقريزي[2]، ومنها المدرسة الفاضلية التي أنشأها القاضي الفاضل، بجوار داره بدرب الملوخية بالقاهرة، سنة ثمانين وخمس مائة، وأوقفها على طائفة من الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل بها قاعةً لإقراء القراءات، وكان الإمام أبو القاسم الشاطبي ت590هـ شيخ هذه المدرسة[3].

ومن تلك المدارس أيضاً: المدرسة الظاهرية القديمة، للملك الظاهر بيبرس البند قداري شرع في بنائها سنة إحدى وستين وستمائة، وتمت في أول سنة اثنتين وستين، ورتب لها علماء لتدريس الحديث والفقه على المذهبين الشافعي والحنفي، وأجلس بها الشيخ كمال الدين المحلي لإقراء القراءات ، ووقف بها خزانة كتب[4].

وكان للقراء رواقهم الخاص في صحن الجامع الأزهر كحال أصحاب المذاهب الأربعة الفقهية ولغيرهما من الفنون مجالسهم الخاصة بالجامع ذاته.

( 1 ) ينظر: النشر 39/1, وغاية النهاية 539/1.

( 2 ) ينظر: الخطط 216و217.

( 3 ) ينظر: مختصر الفتح لمواهبي، ص39، وغاية النهاية 20/2.

( 4 ) ينظر: الخطط 225/4.

وقد كان لهذه الكثرة من المدارس والمقارئ والقراء، والرحلات العلمية من وإلى مصر، ورحلات الحج لأهل المغرب العربي والأندلس وغيرهم الأثر العظيم في جعل المدرسة المصرية مرجيعة علمية كبرى بالنسبة للمدارس الأخرى، فهذا الإمام ابن الجزري إمام فنون القراءات وأستاذها، يرحل إلى مصر ثلاث رحلات[1] لأجل التلقي عن شيوخها والتتلمذ على أيدي أعلامها، وفي هذا دلالة واضحة على مكانة المدرسة المصرية في ذلك العصر.

ثم انتقلت المدرسة المصرية لمرحلة أخرى من مراحل التطور العلمي، وذلك بعد ظهور كتاب النشر لابن الجزري وتعدد طرقه لكثرة أصوله التي جمعه منها، أخذ علم التحريرات مظهراً جديداً، وقد بزرت في ذلك المدرسة المصرية، وكان لها اليد الطولى في خدمة هذا الفن، حتى صار من يسمع مصطلح التحريرات ينصرف ذهنه إلى المدرسة المصرية، وكان مِن أبرز مَن شارك في هذا الفن الإمام المنصوري ت1134هـ وله مدرسة خاصة في التحريرات، والإمام المتولي ت1313هـ والإمام الخليجي ت1389هـ، وغيرهم كثير، بل لم يقتصروا على تحرير أوجه النشر فحرروا أوجه السبعة كذلك.

وتبعاً لهذا الازدهار العلمي كثرت المقارئ حتى بلغت في مصر في عصر الإمام المتولي زهاء الخمسمائة مقرأة[2]، وبلغ عدد المؤلفات التي تدرس في مجموعها أكثر من مائة كتاب.

---

( 1 ) غاية النهاية 247/2و248.

( 2 ) ينظر: الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات، ص74.

تبع ذلك مرحلة أخرى من التطور حيث طباعة المصحف الشريف، وكان ذلك في أعقاب الحملة الفرنسية على مصر سنة 1269هـ، ثم شُكلت بعد ذلك لجنة لمراجعة المصاحف، وكانت أول مدرسة قامت بهذا العمل الجليل هي المدرسة المصرية، وكانت هذه اللجنة هي أول لجنة بعد لجنة الصحابة الكرام ﷺ في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، أي: بعد انقطاع دام أكثر من ألف وثلاث مائة سنة تقريباً.

ولما عُرفت المدارس بنظامها الحديث كان للأزهر قصب السبق في العناية بالقرآن الكريم من حيث العناية بالكتاتيب، واشتراط حفظ قدر معين للالتحاق بمراحل الدراسة الأولى، مع جعل مادة القرآن الكريم مادة إلزامية لطلبة المراحل الدراسية.

ثم خصص الأزهر بعد ذلك معاهد لتعليم التجويد والقراءات وعلومهما، وقد تخرج في هذه المعاهد ثلة من أشهر القراء والمقرئين في العصر الحديث.

ثم كان من منتجات العصر الحديث ظهور الآلات وتطورت الصناعات وأنشئت الإذاعات، ووجدت مكبرات الصوت، وأقراص حفظ الأصوات، فكانت فكرة الجمع الصوتي[1] للقرآن الكريم، التي أحدثت نقلة حضارية جديدة، واكبت بها المدرسة المصرية تطور العصر وحضارته، مع ما فيها من النفع العظيم، والحفاظ على القرآن من عبث العابثين وحقد الكافرين، خصوصاً

( 1 ) كان صاحب هذه الفكرة هو الأستاذ لبيب السعيد رحمه الله وكان قد رأس الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم، وقام بالفعل بتنفيذ فكرته فتحقق له بعضها ولكن الجانب المادي لم يسعفه لإتمام الفكرة، إلا أنَّها تحققت فيما بعد، وما زال القراء يسجلون روايات القرآن إلى يومنا هذا .

في تلك الفترة من الزمن فجاءت هذه الخدمة في وقتها المناسب، اللهم وفقنا لخدمة كتابك الكريم وارزقنا الإخلاص.